الأستاذ عبد السلام عكاش

النظام الشمولي

تقديم:

النظام الشمولي هو منظومة فكرية وفلسفية وسياسية وايديلوولجية تعمل على احتواء كامل الحياة الوطنية: السياسية، الاقتصادية، الدينية، النقابية، الفنية...، في ثنائية تجمع بين احتكار السلطة، وتقديم نظرة حول العالم. هذا المصطلح يطلق على نظم قد تبدو مختلفة في جوهرها: مثل النظام الستاليني للاتحاد السوفياتي، النظام الهتلري لألمانيا، ونظام الصين في ظل ماوتسي تونغ، ونظام كوريا الشمالية أو حتى النظام الإيراني في ظل الخميني. فهذه الأنظمة قد تختلف إيديلوولجياً ومن حيث جوانب مختلفة، إلاَّ أنها تشترك في نقطة احتكار الدولة للسلطة، وتأجيجها للرأي العام وتعبئته وراء الايديلولوجية الرسمية للنظام المهيمن على كل مفاصل الدولة وعلى حياة الأفراد وحتى على أفكارهم ومعتقداتهم.

1- ميلاد المفهوم:

ظهر مصطلح النظام الشمولي خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، كما استخدم خلال فترة الحرب الباردة من قبل العالم الرأسمالي في وصف أنظمة المنظ ومة الاشتراكية الشيوعية، وعلى رأسها النظام السوفييتي، للدلالة على غياب الديمقراطية وعدم احترام الحريات الفردية وحرية التفكير والتعبير والمبادرة الفردية، حيث يتحول الفرد(المواطن) إلى مجرد عبيد للدولة. خلال فترة حكم ستالي ن في الاتحاد السوفييتي تسارعت وتيرة هيمنة الحزب الشيوعي على المجتمع السوفييتي، وذلك من خلال سياسة التأميم في القرى، القضاء على نخبة الكولاك(koulaks)، وإعلان المخططات الخماسية الكبرى. بالموازا ة في سنة 1933 عرف العالم تعيين أدولف هتلر، مستشاراً للرايخ الألماني. و خلال بضعة أشهر تمكن من القضاء على المؤسسات الديمقراطية لجمهورية فيمر (Weimar). في ظل النظامين الستاليني والهتلري تم تنصيب نظام الرعب ضد مجموعات بشرية بكاملها، مثل اليهود بالنسبة لألمانيا، وضد المتحررين(libéraux) والكنيسة في الاتحاد السوفي يتي، شمل الاضطهاد أيضا المؤسسة الدينية، والقرويين الأغنياء، والأقليات الوطنية، وكل المعارضين والمعارضين المحتملين(تروتسكي وأتباعه مثلاً). تلك الممارسات المشتركة في أشكالها والمختلفة في جوهرها وأهدافها، جعلت الدارسين يصنفون النظامين ضمن خانة الأنظمة الشمولية.

2- أسس النظام الشمولي

أ- هيمنة الدولة

يقوم النظام الشمولي على مبدأ الهيمنة، هيمنة أجهزة الدولة على كل مفاصل الحياة السياسية الكاملة مع استخدام الوسائل الحديثة في التعبئة، ودعاية قوية وبطش لكل من يشكك في نواياه و إخلاصه للنظام القائم من خلال جهاز أمني واستخباراتي قوي، الأمر الذي يتولد عنه عبادة الشخصية(culte de la personne) بالنسبة للزعيم(ستالين الرجل الحديدي في روسيا السوفياتية، الفوهرر في ألمانيا النازية والدوتشي في إيطاليا الفاشية). مما يسمح بتسيير نظام واسع يعتمد على المعتقلات. يرتكز النظام الشمولي على نوع من الإرهاب الإيديولوجي والبوليسي ضد الأفراد، وهذه هي النقطة التي تفرقه عن النظام الاستبدادي التقليدي، الذي وإن فرض السلطة والخضوع لها بالقوة، فإنه لا يكره الأفراد ولا يفرض عليهم إيديولوجية سياسية أو فكرية أو دينية معينة (يملي عليهم طريقة تفكيرهم) . دائما ما يحول النظام الشمولي الفئات الشعبية إلى كتلة واحدة، ويستبدل نظام الأحزاب، بنظام الحزب الواحد. يقوم بنقل مركز السلطة إلى الجيش والشرطة، وفيما يخص السياسة الخارجية يتبع سياسة تعتمد على الهيمنة الإقليمية أو العالمية(المجال الحيوي بالنسبة للنازية).

في الحقيقية يتلخص النظام الشمولي في أربعة نقاط: عبادة الشخصية للزعيم أو القائد. الاحتكار الإيديولوجي، مراقبة كل وسائل السلطة والتفكير. نظام بوليسي مركزي.

ب- عبادة الشخصية للقائد:

يعشق القادة المشغوفون بالزعامة بتنظيم تظاهرات جماهيرية كبيرة، حيث تنسجم الجماهير وتتصهر وجدانيا مع الزعيم، الكل يخشع ويتجاوب مع خطابه وحركاته. ويصبح الناس يرون في الزعيم بمثابة المسيح المخلص، أو الرسول الذي بعث مثل المهدي المنتظر. وتقوم التعبئة الإعلامية ودعاية الدولة بعملية شحن وتفريغ للعقول، من خلال تشويه كل المعارضين والمنافسين وتصفيتهم بكل الوسائل الجسدية أو الدعائية، وإبراز شخصية الزعيم الذي يحاط بهالة من التبجيل والتعظيم، بحيث لا ينطق اسمه إلاّ ويصطحب بألفاظ التفخيم والتعظيم، (ويصل الأمر إلى اعتقال الأفراد الذين يكونوا أول من يتوقف عن التصفيق على خطاب الزعيم). كل ذلك مع مرور الوقت يجعل عامة المجتمع يعشق في شخص الزعيم ويرى فيه الفرد الوحيد الموهوب والذي يمكن أن يتصدى للتحديات الداخلية والمخاطر والمؤامرات الخارجية، ويكون الأفراد مستعدون للتضحية بأنفسهم لأجل حياة الزعيم.

الاحتكار الإيديولوجي:

في كل الأنظمة الشمولية تنتصر فكرة قوية "للحقيقة"، والتي لا تدعو مجال للتشكيك ولا تسمح(لا تترك مجال) للمناقشة، لذلك يتهم بالمؤامرة الخارجية ويلقى في الظلمات والسجون ومعتقلات التركيز والعمل في السخرة من لا يستجيب للمذهب الرسمي، ويعتبر بأنه يتبع مذهب "مغلوط" أو "رجعي" و"محافظ". في مثل هذه الحالات تسهل انتشار الأفكار العرقية العنصرية، لذلك يقوم النظام باضطهاد الأقليات، التي ينظر إليها على أنها جسم غريب وغير منسجم مع هيكل "الأمة المتجانس"، تلك الأقلية ينظر لها بأنها يمكن أن تكون أداة بالقوى أجنبية المتآمرة، وذلك ما وقع لليهود خلال فترة الحكم النازي، المسلمين حالياً في الصين، الأكراد والشيعة في عراق صدام حسين... لذلك لا يوجد تسامح في المسألة الإيديولوجية، بحيث تبتلع الدولة كل الأفراد داخل بوتقة إيديولوجية واحدة، وترفض كل مجال للأفكار غير المنسجمة مع التوجه العام للنظام القائم. وهذا ما يسمح بالخضوع التام للأفراد للدولة، ويتسبب في تهجين مؤسسات المجتمع(حتى تنسجم أو تستجيب لتوجهات ومقتضيات الإيديولوجية الرسمية) أو تحطيمها(تحطيم الكنيسة والمؤسسات الدينية في النظام الستاليني).

مراقبة وسائل التفكير

إقامة النظام الشمولي يقتضي القضاء على كل المؤسسات المشتبهة في كونها يمكن أن توقف طرق هيمنه السلطة على المجتمع: رفض التعددية الحزبية، الحرية النقابية، تحطيم المعارضة الشرعية أو السرية، جعل النقابة تحت الوصايا(تخدم الدعاية الرسمية)، ونفس الشيء بالنسبة للمؤسسات الدينية، وكل أشكال التنظيم الشباني، إنشاء تنظيمات شبانية تابعة للحزب الحاكم، مراقبة شديدة للجيش، من خلال الشرطة العسكرية، وجهاز قوي للاستخبارات والاستعلامات، مثل(SA و SS القيسطابو في ألمانيا، التشكا، والملشيات العمالية في الاتحاد السوفياتي، الحرس الثوري الإيراني). وفي الأخير قمع للصحافة، ومراقبة للمنشورات ورقابة على الإعلام، وبالمقابل تسخر آلة كبيرة للدعاية لأجل خدمة النظام القائم داخلياً وخارجياً.

نظام بوليسي

يعتمد النظام الشمولي على بث الرعب والريبة المستمرة، وعلى الغموض في مجال الإدانة والقضاء العقابي، وهذه أهم وسائل هيمنته على الأفراد والجماعات، وهذا من القاعدة إلى القمة، فلا يوجد أحد في مأمن عن الإدانة بالإفساد والعمل التخريبي للمشروع الثوري للنظام القائم، وقد يعتمد في التشكيك

على معطيات عنصرية: اليهود والشيوعيين بالنسبة لألمانيا النازية، أو الامبريالية(أعوان) والبورجوازية والفاشية والطابور الخامس بالنسبة للأنظمة الشيوعية، أو الرجعية و الإرهاب الإسلامي بالنسبة للنظام الناصري في مصر، أو أتباع نظام الشاه بالنسبة لنظام الخميني.

أسئلة:

لخص محتوى المحاضرة في بضعة أسطر

1. ما هي الميزات العامة النظام الشمولي
2. ما هي نقاط التشابه والاختلاف بين النظامين الشيوعي السوفياتي والنازي الأماني
3. ما هي حدود الحرية الفردية في النظام الشمولي

الأنظمة الديكتاتورية

تعريفها:

الديكتاتورية هي نظام سياسي متسلط، يصل إلى السلطة ويبقى فيها بالقوة والعنف، في خلال رجل أو مجموعة من الرجال يحتكرون السلطة المطلقة.

1- أصل الكلمة:

تعود أصول الكلمة إلى روما القديمة، حيث كلمة ديكتاتور تدل على النظام القضائي المتبع خلال ظروف استثنائية، ولمدة محددة(عموماً لمدة 6 أشهر)، من قبل رجل يختار بطلب من السينا تو(مجلس الشيوخ الروماني)، لذلك يكون الديكتاتور خلالها المحتكر الوحيد للسلطة التن فيذية، وليس له أن يقدم أية ردود وتبريرات لأفعاله، ما عدى ما يتعلق بالجانب المالي، تشريعه العسكري يقتصر على إيطاليا، بينما التشريع المدني يقوم به قضاة عاديين تابعين له. يعود أول ديكتاتور يذكره المؤرخون إلى 501 قبل الميلاد(T. Larcius)، وآخرهم هو الديكتاتور المعين خلال الحروب البونيقية سنة 216 ق م، ديكتاتورية سيلا Sylla (82–79 av. J.–C.), ويوليوس قيصر Jules César، الذي ظل ديكتاتور إلى غاية وفاته سنة 44 ق م، وهذا المفهوم قريب من المفهوم الإغر يقي للطاغية(الذي يستولي على السلطة بالقوة ويستخدم العنف والتعسف في الحفاظ عليها).

2- الأزمات الاجتماعية والديكتاتورية

عادة ما تتولد الديكتاتورية في أوضاع الأزمة، والتي تجعل استمرار الحياة العادية أمر مستحيل. بعد الحرب العالمية الأولى، عرفت أور بلتزايداً في الأنظمة الديكتاتورية. بينيتو ميسوليني في إيطاليا، يالازار في البرتغال، ميتاكساس في اليونان هتلر في ألمانيا. وغيرها، وقد استغلت النكسات الوطنية لما بعد الحرب والآثار المترتبة عن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، والتهديد الثوري(للحركات اليسارية الشيوعية المتطرفة والمستلهمة من النظام السوفياتي)، لأجل تبرير تنصيب نظام ديكتاتوري. يمكن التمييز بين شكلين من الديكتاتوريات. الديكتاتوريات المحافظة، والتي تهدف في مواجهة تحولات اقتصادية واجتماعية الدفاع عن النظام القائم. وهذا ما ينطبق على حال البرتغال لسان لازار، واسبانيا فرانكو، حيث وقع تحالف بين الجيش والطبقة الحاكمة والكنيسة، لأجل الحفاظ على ال نظام من تهديد الحركة الشيوعية(انتصار الجبهة الشعبية في اسبانيا). ومن جهة أخرى تحمل الديكتاتوريات مشروع تحديثي

وترتكز في ذلك على الشعب، ضد الطبقة الحاكمة لأجل تحويل النظام الاجتماعي القائم. ومن أمثلة ذلك مصطفى كمال أتاتورك في تركيا بعد 1919، وجمال عبد الناصر في مصر بين 1952 و 1970.

تصنيف الديكتاتوريات الحديثة

يعتبر اللجوء إلى القوة لأجل إقامة الديكتاتورية والحفاظ عليها هو أحد سمات الأنظمة الديكتاتورية الحديثة، وهي تتميز مقارنة بالديمقراطيات بغياب الشرعية، وبطابعها التعسفي، من خلال إلغاء أشكال حرية المواطنين. المؤكد أن الديكتاتور يمكن أن يجد في بعض الظروف الاستثنائية والتي توصله للسلطة نوع من الشرعية المؤقتة، ولكن غياب انتخابات ديمقراطية، والتي لا تكون دائمة. لتنصيب سلطته يمكن للديكتاتور أن يعتم د على صفاته الكارزمية. ويرتكز على الجيش، جهاز التعسف، وعموماً على الحزب الواحد، جهاز الدعاية.

3- غياب التقاليد الديمقراطية

تاريخ دول أمريكا اللاتنية وإفريقيا معروف بالانقلابات العسكرية وبالأنظمة الديكتاتورية. نقص التجربة السياسية، وغياب تقاليد د يمقراطية يفسر بشكل كبير بروز الحكومات الديكتاتورية. الظروف الاقتصادية، وتركيز الثروة بين أيادي البعض من المحظوظين والمقربين من مركز السلطة، غياب التقدم الاقتصادي للبلاد، كل ذلك يساهم في بروز الأنظمة المتسلطة. والتي يظهر بأنها الوحيدة التي بإمكانها إعادة توزيع عادل للثروات وتمكين التقدم الاقتصادي. وتظهر الأنظمة الديكتاتورية أيضاً حينما تكون الدولة تنظيم مصطنع، موروث عن تصفية الاستعمار، وهذا ما ينطبق على إفريقيا السوداء، حيث المواطنين لهم شعور أقل بالانتماء للأمة من الانتماء لمجموعة اجتماعية(سلالة عرقية، دين، قبيلة مثلاً)، لذلك فإن إلحاقها بالسلطة المركزية أمر صعب، ولأجل الإبقاء على الدولة، في ظل غياب تجانس وطني مسبق، يظهر بأنه من اللزوم تنظيم سلطة مركزية قوية(ذات صلاحيات واسعة وديكتاتورية). اتخذت الديكتاتوريات عدة أشكال في هذه الدول: مجموعات عسكرية في أمريكا اللاتنية، نظام الحزب الواحد في إفريقيا، خصوصاً في الدول التي قامت باستنساخ النظام الاشتراكي للكتلة السوفياتية. منذ الثمانينات دخلت القارتين في مسار صعب للديمقراطية.

أسئلة:

1. لخص مضمون المحاضرة.
2. ما الفرق بين النظام الاستبدادي والنظام الديكتاتوري

الأنظمة الفاشية

تقديم

الفاشية(fascisme) هي مصطلح يدل بشكل دقيق النظام الشمولي الديكتاتوري المفروض من قبل بينيتو موسوليني(Benito Mussolini) في إيطاليا، ما بين 1922 و 1945، وفي مفهومه الواسع، المذهب السياسي الذي استخدمه النظام الفاشي في إيطاليا كقاعدة ونموذج للحكم، وهذا ما برز خلال فترة ما بين الحربين وخلال الحرب العالمية الثانية.

يعتمد على شعارات: العائلة، العمل، التضامن الاجتماعي، هيمنة المصالح الوطنية على مستوى كل الأصعدة، النظام والانضباط، ترفض الفاشية سلطة المال والديمقراطيات الليبرالية. والتي يتم اعتبارها بأنها فاسدة وغير فعالة. تصاعد الأنظمة الفاشية يندرج ضمن وضع عالم ما بعد الحرب العالمية الأولى، والأزمة الاقتصادية العالمية 1929. وفي إطار البحث عن نهج بديل ثالث بين الرأسمالية الليبرالية والشيوعية الماركسية، وفي اعتبار الأنظمة الديمقراطية الرأسمالية عاجزة عن مواجهة الخطر الشيوعي ، وعن تحقيق المصالح الوطنية.

1- الفاشية الايطالية

باعتبارها ظاهرة تاريخية ونموذج سياسي، ظهرت الفاشية في إيطاليا، بعد الحرب العالمية الأولى، في إطار أزمة اقتصادية، وحالة من خيبة الأمل مرتبطة باتفاقيات سان رجمان(Saint-Germain-en-Laye).

الفاشية لغة تعني تجميع مجموعة من العصي مربوطة لفأس، كان يستخدمها القادة الرومان، وهي تمثل في ذات الوقت القوة والوحدة، ومجد روما القديم، في 1919 أسس موسوليني المجموعات الفاشية الأولى في إيطاليا، وفي 1921 أسس الحزب الفاشي الايطالي. جعل نفسه في خدمة الصناعيين والملاك الكبار للأراضي، حليف الكنيسة الكاثوليكية والجيش، لأجل العمل على التصدي للحركات العمالية.

في 22 أكتوبر 1922 في جو من التعفن السياسي والضعف، قام موسوليني على رأس 25000 رجل، السير على روما، ومثل ذلك استعراض كبير للقوة، بعدها قرر الملك دعوته لترأس الحكومة. عين رئيس للمجلس الوزاري، شكل حكومة للوحدة الوطنية، وحضر للاستيلاء على السلطة.

والذي لم يتم بشكل رسمي إلاّ في سنة 1926. وذلك بفضل تبني قوانين فاشيستسة، تحد من الحريات، تمنع الأحزاب، وتمنح كامل السلطات للدوتشي(« chef » ,Duce (italien.

فرض مبدأ التعيين بالنسبة لكل المناصب السياسية، وفرض الحلف على كل الموظفين، تنظيم الشبيبة في تنظيمات شبه عسكرية، والقيام بمطاردة المعارضين السياسيين من قبل الشرطة. في الجانب الاقتصادي، القيام داخليا بمشاريع كبرى في جوانب التهيئة(الطرقات، السدود...) والتصنيع وتحديث الفلاحة، وعلى الصعيد الخارجي اعتماد الاقتصاد المكتفي ذاتياً(autarcie)، والدخول في اقتصاد الحرب، من خلال البحث عن مناطق للنفوذ والاستعمار(ليبيا وأثيوبيا)، لأجل استعادة مجد روما الغابر. وقامت بدعم نظام فرانكو في اسبانيا وربطت تحالف مع النازية الهتلرية في ألمانيا.

الأسس النظرية للفاشية:

يمكن ضبط بعض المصادر العقائدية للفاشية، وهي مصادر فلسفية وسياسية متعددة، مثل أخلاق القوة (لنيتش Nietzsche)، الاعتماد على المجموعة المنتجة كقاعدة للتنظيم الاجتماعي (Proudhon) ، نبذ الرأسمالية(Georges Sorel)... الفاشية تتعارض مع قيم الفردانية، الديمقراطية(النظام البرلماني والتعددية الحزبية)، العقلانية واللائكية، وذلك ما يتعارض في بعض الج وانب مع مبادئ الثورة الفرنسية "حرية، مساواة وأخوة" « Liberté, Égalité, Fraternité » التي يقابلها عند الفاشيين: "مجد، خضوع ومحاربة" « Croire ! Obéir ! Combattre ! »، وفي هذا الإطار فإن الفاشية ترفض المؤسسات الديمقراطية والاجتماعية. وفي مجال امتصاص السلطة التنفيذية للسلطة التشريعية، فإن الفاشية في هذا المجال تتقاطع مع الشيوعية السوفياتية. وذلك رغم اختلاف الأهداف، فإذا كان الماركسيون يستهدفون الوصول إلى مجتمع من دون طبقات، فإن المثل بالنسبة للفاشيين هو مجموعة وطنية(امة) منظمة بشكل تسلطي. وفيها تستبدل الط بقات الاجتماعية بالمجموعات المهنية، والكفاح(الصراع) الطبقي بالتضامن الاجتماعي.

تتضمن الفاشية تنظيم عمودي للسلطة، اعتماداً على نموذج النظام الهرمي والانضباطي العسكري، والذي يطبق على كل الجوانب السياسية، الاقتصادية والاجتماعية، فكل مجالات الحياة يتم تأطيرها من قبل سلطة الدولة المركزية المرتكزة على الحزب الواحد، بحيث تعتبر التعددية الحزبية بمثابة إضعاف للسلطة، وباعتماد على جهاز قمعي، يراقب كل وسائل التعبير. الفردانية اندثرت لمصلحة المجموعة، لأجل إنتاج رجل جديد، من خلال تأطير الشبيبة، الجمع بين البطولة والحداثة. الفاشية ضد

المفكرين، تمنح اهتمام كبير للرموز الحربية، لذلك تقوم بتهييج الجماهير في هذا الاتجاه. تقوم الدولة الفاشية على مبدأ التفوق القومي، لذلك تجعل هدفها الأساسي هو تقوية القوة العسكرية، مع استنساخ سياسة توسعية. معظم المنظرين الإيديولوجيين الفاشيست يتبنون مبادئ أفكار الداروينية الاجتماعية، التي تتصور وجود تنافس (تناحر) داخلي وخارجي للدولة، وضرورة التطور الذي يؤدي حتما إلى تحطيم الضعفاء، هذه الأفكار تتضمن بداخلها عنصرية خفية أو ظاهرة.

تحليل الظاهرة الفاشية

أدت الفاشية إلى عدة تأويلات، والتي لا تزال تثير العديد من النقاشات، لذلك من الصعب تقديم تحليل شامل لهذه الظاهرة المعقدة. هناك مقارنة بين التجربة الايطالية والألمانية. لأجل الفصل بين التجربتين، فسرت إيطاليا توجهاتها التوسعية بقوة الدولة، وليس بمسألة البحث عن المجال الحيوي(الأماني)، ولا بالعرق، الذي نجد في التقاليد الجرمانية، غير أن النظامين الديكتاتوريين الشموليين وإن افترقا في مسألة تصنيف الأعراق إلى متفوقة ودونية يشتركان في ثلاث خصائص: استثارة الشعور الوطني. عبادة الشخصية. تنظيم المجتمع على النموذج العسكري.

هناك تساؤلات حول أصول الفاشية، التي تصور بأنها نظام وحشي لم يشهد له التاريخ مثل، وهو في تناقض مع التطور الطبيعي للأمم الغربية نحو الديمقراطية، هناك تحليلات للفاشية من وجهة نظر اقتصادية، حيث يتم التركيز على مسألة الأزمة الاقتصادية 1929، والتي أدت إلى إضعاف الطبقة العاملة والمتوسطة، ، بالنسبة للماركسيين، فإن الفاشية تم ابتكارها لأجل مقاومة توسع الأفكار الاشتراكية. ومن جهة أخرى هناك تحليلات بسيكولوجية، التي تفسر الانضمام إلى الفاشية بفعل الخوف من العزلة والحاجة للانتماء للمجموعة، بالنسبة لتاريخ الأفكار السياسية فالفاشية هي وريثة للأفكار التي تعود للقرن الخامس عشر، بحيث نجد أن مو سوليني كانت له دراسة جامعية حول كتاب الأمير للفيلسوف الايطالي ماكيافيلي، الذي دعا لاستخدام الطرق غير الأخلاقية لبلوغ السلطة البقاء فيها، كما مجد السلطة الفردية المستبدة القوية، واعتبرها أساس مجد روما القديمة.

انتشار النموذج الفاشي:

قدم نظام موسوليني نموذج للفاشية خلال سنوات 1920-1930، حيث ازدهر هذا النموذج في إطار الأزمة الاقتصادية، السياسية والأخلاقية، والذي حقق انتصارات في بعض الدول التي ليست لها تقاليد ديمقراطية.

فقد سجلت المحاولات الفاشية في إسبانيا مع جوزي دو فيرا(José Antonio Primo de Rivera) قائد الفلانجية(Phalange)، وفي البرتغال مع سالازار (António de Oliveira Salazar)، وفي دول أخرى مثل بلغاريا، يوغسلافيا النرويج، في العديد من دول أمريكا اللاتنية(البرازيل) وغيرها.

في آسيا نجد بأن النظام الإمبراطوري في اليابان لسنوات الثلاثينات المتشدد في وطنيته وصاحب النزعة التوسعية وبطابعه ال عسكري كان يحمل العديد من الصفات الفاشية. في فرنسا ظهرت تنظيمات لليمين المتطرف أبرزها حزب الشعب الفرنسي(PPF)، خلال الحرب العالمية الثانية انضمت العديد من الأنظمة الفاشية لألمانيا النازية ولتوجهاتها التوسعية، العديد من الدول مثل: فرنسا(نظام فيشي)، هولندا بلجيكا، رومانيا واسبانيا) بعثت بمتطوعين أو بقوات نظامية لأجل مساعدة الفيرماخت(الجيش الأمانيWehrmacht)، لأجل محاربة الجيش الأحمر (السوفييتي).

مخلفات الفاشية:

هزيمة ألمانيا وإيطاليا خلال الحرب العالمية الثانية، أدى إلى إفقاد الأنظمة الفاشية للثقة بشكل واسع في أوربا(رغم استمرار ديكتاتورية فرانكو في اسبانيا). خلال سنوات السبعينات ظهر الفاشيست الجدد في أوريا، وهي مجموعات قومية شبه عسكرية، تتبني وطنية مصبوغ ة بتعصب وكراهية للأجانب xénophobie ، خلال سنوات الثمانينات والتسعينات هذه الحركات تغذت من تراجع الأحزاب التقليدية، لذلك تنظمت تلك الحركات في شكل أحزاب شرعية، مثل التحالف الوطني في إيطاليا، والذي شارك في انتخابات 1994 ونافس قوة إيطاليا(Forza Italia) ورابطة الشمال، وشارك في حكومة بيرلوسكوني(Silvio Berlusconi) سنة 2001. في فرنسا ظهر حزب كان في بدايته متواضع وهو الجبهة الوطنية، ولكنه سرعان ما أخذ بالتوسع وكسب المزيد من الأنصار المتعصبين. انهيار وتفكك الاتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية، أدى إلى ظهور العديد من الأحزاب للفاشيين الجدد، حيث بدأ الخطاب القومي المتعصب والمعادي للأجانب للبروز في المنابر البرلمانية. ومع ذلك لا يوجد نظام فاشي مثل نماذج ما قبل الحرب العالمية الثانية، إلاَّ أن الأفكار الفاشية لا تزال حاضرة في العديد من الخطابات، والتي لا تزال في حركة توسعية في معظم الدول الأوربية وحتى في أمريكا.

الأسئلة

1. تطلق كلمة الفاشية على نوع معين من الأنظمة وبشكل خاص على النظام الذي أقامه موسولينيني في إيطاليا، وضح ذلك

2. العلاقة بين الفاشية واستعمال العنف والبطش.

الديكتاتورية النازية

تقديم

النظام النازي هو مذهب ينسب للحزب الوطني الاشتراكي للعمال(national-socialiste allemand des travailleurs Nationalsozialistische Deutsche Arbeiterpartei) (NSDAP)، يمثل هذا الحزب التأسيس الإيديولوجي للرايخ(IIIe Reich الشعب أو الأمة) الثالث، وهو نظام شمولي وعنصري، نصب في ألمانيا تحت توجيه أدولف هتلر (Adolf Hitler) ما بين 1933 و1945. الإيديولوجية النازية تعتمد على فكرة نقاء الجنس الجرماني، وتجميع كل أجزائها ومكوناتها في نفس الدولة، بحث عن توسيع هيمنته على كامل أوربا، هذه السياسة العسكرية كانت السبب في اشتعال الحرب العالمية الثانية، ولم ينته هذا النظام إلاَّ بنهاية الحرب وتحطيم النازية في ألمانيا أمام الحلفاء.

أصول النازية:

النازية هي حركة لها جذورها في التقاليد العسكرية البروسية للتسلط والسياسة التوسعية، وله ا جذوره أيضاً في التقاليد الرومنطقية (romantique) الألمانية المعادية للعقلانية، وللليبرالية والديمقراطية. من خلال قطع الصلات بجمهورية فيمر(Weimar). إيديولوجيتها تقوم على بعض الأفكار العنصرية، والتي حسبها فإن الشعوب الجرمانية التي يتصور بأنها آرية صافية، هي ليست متفوقة فقط في الجوانب الجسمانية، ولكن أيضاً من حيث الجوانب الأخلاقية وصاحبة ثقافية متطورة أكثر من ثقافية غيرها من الشعوب. عارض بعض الفلاسفة الألمان خصوص فيخته أفكار الثورة الفرنسية، كما عارضوا الإيديولوجية الماركسية، يرتكز الفكر النازي على تقاليد بروسية في الاعتقاد في قوة الدولة واحتوائها لكل الأفراد، فالفرد لا وجود له إلاّ في إطار مجموعة رابطة الدم. من بين المنظرين للنازية نجد كارل هوسفر Karl Ernst Haushofer، وهو جغرافي ومؤسس الجغرافيا السياسية. فكرة الرايخ الألماني الكبير مقتبسة من فكرة الكونفدرالية الجرمانية 1848، فكرة تفوق العرق الأماني من جوزيف غوبينو (Joseph Arthur Gobineau)، صاحب كتاب دراسة في تفاوت الأعراق البشرية(1855). ومن شبينقلار Oswald Spengler الفكرة القومية، ومن نيشته فكرة الإنسان السامي(surhomme).

غير أن المنظر الأكبر للنازية كان أدولف هتلر في كتابه كفاحي Mein Kampf ، والذي ألفه خلال فترة احتجازه ما بين 1923و 1924، وخلاله رسم هتلر أهداف النازية. حيث عبر عن أفكار

معاداة للمساواة والنظام البرلماني، ومعاداة الديمقراطية، عمل لأجل تنقية الجنس النازي، ولتصفية اليهود. كان خطيب بارع، تأثر بشكل كبير بهزيمة 1918، وباتفاقية فرساي، والتي عاشها وهو جندي واعتبرها بمثابة اهانة، لذلك أخذ عهداً على نفسه بأن يعيد لألمانيا مجدها وقوته أو عظمتها، وبأن يعيد الأراضي المنتزعة منها. حمَّل هتلر اليهود مسؤولية الخراب الاقتصادي واتهمهم بأنهم السبب في نشر الأفكار المخربة منها الماركسية والليبرالية، لذلك سجل في برنامجه القضاء على اليهود في برنامج سياسي، مؤكداً في ذات الوقت إحياء الدم الآري للرايخ، لذلك حسبه يجب إبعاد غير الألمان عن مناصب الوظيفة العمومية، منع الزواج المختلط، مع تعقيم(عقم) المرضى الذين يستعصى شفاؤهم. تحقيق هذا البرنامج يتضمن إلحاق الأراضي التي يتحدث سكانها اللسان الجرماني، خصوصاً في بولونيا وتشيكوسلوفاكيا إلى جانب ضم النمسا، وبذلك يتم تأسيس ألمانيا الكبرى مع مجالها الحيوي (Lebensraum) في أوربا، وهي منطقة للتأثير الاقتصادي والسياسي، والموجهة للتوسع العرق الألماني. الظرف الدولي لفترة ما بعد الحرب العالمية الأولى كان مناسب لبروز وانتشار النازية، وانضمام ألمانيا إلى برنامج هتلر الديماغوجي، بحيث جعل ميثاق فرساي ألمانيا مسئولة عن نشوب الحرب، وبالتالي تتحمل تعويض الخسائر، التي تدفع للدول المنتصرة، الأمر الذي أدى إلى تخريب اقتصادها، وازدياد التضخم، وقد مست الأضرار خصوصاً الطبقة الوسطى، ألمانيا كانت متخوفة من وصول الشيوعيين الناشطين للسلطة(ثورة السبارتاكوس بقيادة روزا لكسمبروغ).

إنشاء الحزب القومي الاشتراكي(الاشتراكي)

بعد فشل الثورة الشيوعية في ميونيخ في ماي 1919، ظهرت العديد من المجموعات الوطنية المتعصبة، منها حزب العمال الأماني، وهو أصل الحزب النازي. حينما انضم إليه هتلر في سبتمبر 1919 لم يكن يضم سوى حوالي 25 عضواً، من بينهم 6 فقط يشاركون في النقاشات وفي المحاضرات، هتلر بفضل مميزات شخصيته في الخطابة، أصبح قائد الدعاية في جانفي 1920. خلال الاجتماع الكبير في ميونيخ في 24 فيفري 1920 عرض برنامج في 25 نقطة، حيث جمع بين الأفكار القومية المتعصبة مع الأفكار الاشتراكية. في أوت 1920 حول اسم الحزب للحزب النازي، وقد أخذ هتلر مقاليده في السنة الموالية، وقد تبنى العلم ذ ي الصليب المعقوف، شيئاً فشيئاً أخذ الحزب يأخذ مكانه، كان يؤمن بالعنف كوسيلة لبلوغ أهدافه، لذلك أسس هتلر سنة 1921 فرق الهجوم (Sturmabteilungen) SA، تحت غطاء فرقة رياضية، مهمتها حماية وأمن الاجتماعات السياسية، ولكن كانت تعمل على إفشال المجموعات الأخرى المنافسة، وفي جزء كبير منها مشكلة من القدماء المحاربين، محاربين وضباط

منزعجين من الحرب، في سنة 1923 تأسست صحيفة للحزب الملاحظ العنصري(Völkischer Beobachter)

المسيرة الطويلة نحو السلطة

رغبة من هتلر في استغلال التذمر الناتج عن احتلال الفرنسيين والبلجيك لإقليم رينانيا(غرب الراين على الحدود مع فرنسا)، نظم عملية عسكرية في ميونيخ، كأو ل خطوة للوصول للسلطة في برلين، وفي 8 نوفمبر 1923 تم إفشال العملية، هتلر و 600 عنصر من أتباعه من(SA) ذهبوا إلى اجتماع للحكومة البافارية(في ميونيخ) وطلب منه أن يعلن تأسيس حكومة وطنية جديدة، مما أدى إلى نشوب مشادات مع الشرطة، واضطر هتلر للفرار، المحاولة الانقلابية لميونيخ فشلت، وقد حكم عليه بـ 5 سنوات سجن، حيث ضل هناك لمدة 13 شهراً، واستغلها لتأليف كتابه كفاحي(Mein Kampf) ، وخلاله عرض أفكاره النازية، تقنيات الدعاية والإستراتجية الواجب إتباعها لأجل غزو ألمانيا لأوربا. حينما خرج هتلر من السجن، كان الحزب النازي قد اختفى. غير أنه في 1925 أعاد هتلر إنشاء الحزب النازي الذي أصبح يضم 27000 عضو، وقرر رفقة أعضاء الحزب الوصول للسلطة بالوسائل السلمية بدل القوة. في 1926 تم إعلانه القائد(المرشد Führer) للحزب، محاط بحرس شخصي كبير من مجموعات الحماية (SS Schutzstaffe) والتي تحولت إلى نوع من الشرطة العسكرية، مجموعات الأس أس وهي نخبة الجيش الأماني مهمتها مراقبة الحزب، أما SA فقد تحولت إلى فرعه العسكري. الأزمة الاقتصادية العالمية 1929 أوقفت تدفق الرساميل الأجنبية لألمانيا(خصوصاً الأمريكية)، مما تسبب في انخفاض الصادرات وتهاوي الإنتاج الصناعي، البطالة ازدادت بشكل كبير، في حين أسعار المواد الغذائية تدهورت. الانكماش الاقتصادي أضعف جمهورية فيمر، التي كانت تتعرض لضربات قوية من جهة اليمين واليسار، مما خلق ظروف مناسبة للثورة. الحزب النازي استقبل مسيرين لمركبات التعدين والصناعة، وعرضوا مساعدتهم للحزب.

الحزب في الرايخ ستاغ(البرلمان)

الحركة النازية أخذت بالتوسع بشكل سريع مستفيدة من التذمر الناتج عن الأزمة، والتحق الآلاف من الموظفين المسرحين والتجار والمقاولين الصغار المتأثرين بظروف الأزمة، فلاحين من دون مصادر للعيش خابو ا من الحزب الاشتراكي والشيوعي. جماهير كبيرة ممن شارك في الحرب العالمية الأولى أو عاش أحداث ما بعدها انضمت للحزب، الحزب النازي الذي حصل في 1928 على 2.5% من الأصوات، حصل على أكثر من 18 % في انتخابات 1930، وعلى 107 مقعد في البرلمان،

وأصبح الحزب الثاني في الرايخساغ، بعد الاشتراكيين الديمقراطيين(143)، عدد الأعضاء في الحزب تزايد من 176000 سنة 1929 إلى 806000 سنة 1931، و 4 ملايين سنة 1933. عدم نجاعة الحكومة أظهر ضعف الديمقراطية البرلمانية، هتلر ترشح للانتخابات الرئاسية لسنة 1932 حصل على 36% من الأصوات.

تصاعد الحزب النازي القوي لم يوقفه حل مجموعاته الشبه عسكرية(SS, SA)، خلال انتخابات 1932 حصل الحزب النازي على 13 مليون صوت، وأصبح الحزب الأول في الرايخسترغ بـ 221 صوت، هتلر رفض المشاركة في حكومة ائتلافية، في 30 جانفي 1933 عين هدنبرغ(رئيس الجمهورية) هتلر رئيس للحكومة(مستشار).

تنصيب نظام شمولي:

في 25 فيفري في الوقت الذي انتهت فيه الحملة الانتخابية لأجل التجديد البرلماني، مبنى الرايخسترغ تم تخريبه بفعل حريق والذي يحتمل أنه من فعل النازيين. الآلاف من الشيوعيين اتهموا بأنهم المتسبب في العملية لذلك تم إيقافهم. انتخابات مارس 1933 لم تعط النازيين إلا أغلبية نسبية(44%)، غير أنه في 23 مارس حصل هتلر من الرايخ ستاغ على السلطات الكاملة لمدة أربعة سنوات. لذلك اختفت جمهورية فيمر، حرق مبنى الرايخساغ مثل ذريعة لحل الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي الديمقراطي(المنافسين)، إلى جانب إلغاء الحقوق المدنية الدستورية، وفتح أول مركز اعتقال. تم إنشاء القيسطابر (Gestapo الشرطة السرية للدولة *Geheime Staatspolize*) ومنحت لها صلاحيات واسعة وعملت على تصفية كل معارضة للنظام النازي، النقابات تم حلها. في جويلية 1933 أصبح الحزب النازي هو الحزب الوحيد، المعارضة تم منعها. بعدها بدأ هتلر في نشر الرعب من خلال الاغتيالات للعناصر المشبوهة. قوانين نورمبارغ 1935، جسدت تطبيق برنامج معاداة السامية(اليهود)، خصوصاً منع الزواج المختلط بين الألمان واليهود وغير اليهود، في جانفي 1938 أملاك اليهود تمت مصادرتها، ووضعت بطاقة تعريف متميزة لليهود، وتم إبعادهم عن الحياة الاقتصادية ومن الوظائف الرسمية، لذلك قاموا بالهجرة بشكل جماعي.

وهكذا وقع ما بين 1933 و1935 استبدال النظام الديمقراطي بنظام شمولي مركزي، الإدارات المحلية و الجهوية جعلت تحت مراقبة الحكومة المركزية، الرايخستاغ فقد مهامه التشريعية.

تنظيم الحزب:

الحزب وأجهزته تحولت إلى الآلة الأساسية للمراقبة الشاملة للدولة والمجتمع الأماني. الحزب القوي بمليون ونصف عنصر سنة 1932 أصبح يضم 8 ملايين سنة 1939 و11 مليون بداية 1945.

النازيين تقلدوا مناصب في الحكومة المركزية وفي الإدارات الجهوية، أعضاء الحزب كانوا يقومون بالحلف للوفاء للفوهرر، لذلك لا تتم محاكمتهم إلاَّ أمام محاكم خاصة للحزب. الدعاية النازية تقوم بها عدة تنظيمات، خصوصاً منظمات الشباب.

أهم المنظمات الفرعية للحزب: فرق الهجوم SA التي تعتبر بمثابة الضمانة للثورة النازية، تقوم بنشر المذهب النازي بين الشباب، الفرق الخاصة(SS) التي تم إنشاؤها سنة 1926 ظلت فرع فرق الهجوم، إلى غاية 1934، حيث أصبحت قوة التدخل ونخبة الحركة الهتلرية. نظمت مذبحة كبيرة ضد اليهود سنة 1938، خلال الحرب العالمية كانت تراقب الأراضي المحتلة ومراكز الاعتقال بالتنسيق مع القيستابوGestapo. بداية من 1942 الأس أس ساهمت بشكل كبير في عملية تصفية اليهود في مراكز التركيز. مصالح الأمن (SD Sicherheitsdienst) هي شرطة سرية للدولة بمثابة مصالح استخباراتية، مهمتها تصفية كل معارضة للنظام الهتلري، كانت تتمتع بسلطات غير محدودة، تستخدم التعذيب، تقوم بالإعدامات الجماعية إلى جانب الإبعاد. في 1936 القيستابو أعلنت بأنها غير ملزمة بالتقيد بأي قانون وغير مسؤولة إلا أمام الفوهرر وأمام قائدها هيملرHimmler، خلال الحرب نشرت القيسطابو الرعب في كامل أوربا، في سنة 1944 أصبحت تراقب مصلحة التجسس والتجسس المضاد. كان الحزب يتوفر على تشكيلة تابعة أخرى وهي الشبيبة الهتلرية(Hitlerjugend)، والتي تحضر الأطفال الذين سنهم ما بين 14 سنة و17 سنة، ليصبحوا أعضاء في الهيئات الأخرى، تقود الدعاية خارج ألمانيا.

النظام الجديد

منذ وصولها للحكم، إدارة الحزب كانت تواجه مشكلة عويصة وهي البطالة، الصن اعة الألمانية لم تكن تشتغل إلاّ بنسبة 58% من قدراتها، وكانت البلاد تعد ما بين 6 و7 ملايين عاطل عن العمل. عدد منهم انخرط في الحزب، كانوا في انتظار هتلر ليضع البرنامج المضاد للرأسمالية الذي وعدت به الدعاية النازية، إزالة الكارتلات، الدفع بالصناعة بفضل دعم المؤسسات الصغيرة. لأجل القضاء على البطالة والدفع بالصناعة، أقام هتلر النظام الجديد، فمسألة تفعيل الآلة الصناعية الألمانية يتطلب أن تحتل ألمانيا مكانة مهيمنة في التجارة العالمية، في الصناعة والمالية، يجب على ألمانيا أن تحصل على مصادر المواد الأولية، التي حرمت منها، يجب تطوير أسطول تجاري، وهياكل قاعدية للطرق والسكك الحديدية، ويجب إعادة بناء الأسطول الجوي.

هذا البرنامج يتضمن ضرورة إلغاء ال قيود الاقتصادية والسياسية المفروضة من طرف اتفاقية فرساي، وإعادة تنظيم الاقتصاد ليصبح اقتصاد حرب. تطوير الصناعة الحربية، يسمح بامتصاص

البطالة والاستجابة للمشاريع التوسعية الهتلرية. يجب على ألمانيا أن تكون مكتفية ذاتياً فيما يخص المواد الأولية.

تأطير السكان

فضلا عن التنظيمات النازية التي تتطلب من أعضائها الانضمام الكامل للأهداف والوسائل الإيديولوجية النازية، تم إنشاء مجموعات كثيرة، هدفها الأساسي مراقبة كل مناحي الحياة، المهنية، الخيرية، الرياضية الترفيهية. لأجل اكتشاف العناصر الضارة والقضاء عليها، ولأجل تأطير الشعب الألماني داخل الإيديولوجية النازية. كل مجالات الحياة كانت تابعة للحزب، حتى الكنيسة وضعت تحت المراقبة، كل الجمعيات والتنظيمات كانت بيد النازيين. النظام الجديد تطلب إلغاء النقابات ومصادرة تمويلها، منع حق الإضراب، وإلزام العمال الألمان الانضمام لنقابة الدولة، الجبهة الألمانية للعمل(Deutsche Arbeitsfront)، الأجور محددة من قبل وزارة الاقتصاد.

النقابات المهنية للتجار والصناع لجمهورية فيمر تم تحويلها لوسائل مراقبة الدولة. الانضمام إليها إجباري بالنسبة للعمال. كل المؤسسات الاقتصادية توجد تحت مراقبة الدولة. النظام الجديد قضى على البطالة، ومنح للعمال والفلاحين مستوى معيشي مقبول، وثراء للرأسماليين والصناع، بعض المؤسسات خصوصاً خلال الحرب كانت تستخدم السجناء والمعتقلين واليهود والجنود الأجانب أسرى الحرب وتعاملهم مثل العبيد.

السير إلى الحرب:

تمت إعادة تسليح ألمانيا، وكان لهتلر مشروع تجميع كل من ينتمي للجنس الجرماني في أمة ودولة واحدة(الرايخ 3)، اعتماد مبدأ الاقتصاد المكتفي ذاتيا (autarcique) كان سيؤدي حتما إلى إتباع سياسة توسعية، والتي ستؤدي إلى تفجير الحرب العالمية الثانية. نشط النازيون س ياسياً ودبلوماسيا لأجل تحقيق مشروع ألمانيا الكبيرة، أهم الخطوات في هذا المسار، إعادة تسليح رينانيا(1936)، إنشاء محور برلين روما(1936) ثم برلين روما طوكير ، التدخل في الحرب الأهلية الاسبانية(1936-1939) في مصلحة الوطنيين بقيادة فرانكو، ضم النمسا سنة 1938، تفكيك دولة تشيكوسلوفاكيا وضم أراضيها، عقد اتفاقية عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفياتي، أسبوع قبل اندلاع الحرب، ثم اثارة مشكلة مدينة دانزينغ والقيام بغزو بولونيا في أول سبتمبر 1939، والذي سجل بداية الحرب العالمية الثانية.

كان هتلر يؤكد بأن الرايخ الأماني الثالث سيعيش لمدة ألف سنة، بفعل تمكنه من تجاوز تناقضات الرأسمالية والماركسية. كانت للنازية أهداف توسعية، تقوم على مبدأ هيمنة الجنس الآري باسم

تفوقه العرقي. كلفت الحرب العالمية الثانية 50 مليون ضحية، الحل النهائي فيما يخص اليهود أدى إلى مقتل 6 مليون منهم.

أسئلة:

1. ما هي مبادئ النازية ووسائل عمل النظام النازي
2. كيف نجحت النازية في تعبئة الرأي العام الأماني وتوجيه وفق أيديولوجيتها